المرهوجة

في صبيحة يوم الأحد بعد انقضاء أربعين يوماً في الزنزانة الانفرادية تم نقلي إلى زنزانة عادية في أحد جناحات السجن ما يسمى بجناح (أ)، هذا الجناح مخصص لمن يقل عمرهم عن ثلاثين ربيعاً، فتحت أقفال باب الزنزانة الحديدية، كنت مرتبكاً جداً فقد أصبحت أشكو رهاب الأماكن المغلقة والحشد الكثير بسبب الانفرادي. كان طول الزنزانة لا يقل عن عشرين متراً وعرضها حوالي ثلاثة أمتار، كانت الزنزانة مكتظة بها حوالي ثلاثمائة سجين، بينما كانت لا تتسع إلا لمائة سجين فقط، اصطحبني المشرف على الغرفة (الكبران) إلى الركن الذي سأمكث فيه؛ سرير به سجينين، يعني سأتقاسم معهما هذا السرير كيف ذلك؟ كيف سننام ثلاثتنا على إسفنج واحد؟ واتضح لي بعد قليل أننا سننام "رأساً وجنباً"، لاحظ السجينان إرهاقي وكثرة

الكدمات على وجهي جراء التعذيب فتركا لي السرير عسى أن يرتاح جسدي قليلاً... أخذت حصتي من النوم لأنه بالليل لا يسعني أن أنام جراء الربو الذي أصبح عندي...

انقضت الليلة وكانت أطول ليلة في حياتي أو ربما سأمر بليلة أطول منها في قفصي... بزغ فجر يوم الاثنين وكان أهم يوم في الأسبوع ينتظره جميع السجناء، فهو موعد زيارة الأهل وتخفيف ولو القليل من مرارة السجن. انتهت مدة زيارة الأهالي وعاد كل سجين إلى زنزانته وبيده أوعية بلاستيكية بها أطعمة فكانوا كأنهم أطفال يافعين فرحين بلعبة العيد، أحدهم يشتم رائحة أمه في هذه الأطعمة والآخر يشتم نفس زوجته وحبيبته... بعد فترة قصيرة لاحظت شيئاً بعث في نفسي حيرة كبيرة، اجتمع معظم السجناء في طابور أمام ركن مشرف الزنزانة(الكبران) وكل واحد ممسك بعلبة سجائر ينتظر دوره بلهفة كبيرة، يخيل لك أنه سوق أسبوعي،

نظرت إلى السجينين اللذين كانا يتقاسمان معي السرير وخاطبتهما بفضول كبير:

-ما الذي يفعله هؤلاء السجناء وما الذي ينتظرونه بلهفة وشوق كبير؟؟

نظر إليّ أحدهم وأجابني باستهزاء

-أظن أنك جديد هنا ولا تعلم شيئاً عما يحدث، لا تجزع سوف تتعود على هذا المشهد فهو يتكرر كل أسبوع، اليوم هو اليوم الأسبوعي للمرهوجة!!

ازداد فضولي أكثر ما هذه الكلمة التي ليس لها معنى في قاموس عقلي؟!!

اكتشفت لاحقاً أنها عبارة عن أقراص مخدرة يتم طحنها ووضعها داخل الأطعمة وكان مشرف الزنزانة طبعاً هو المزود يبيعها لمعظم السجناء بمساعدة بعض أعوان السجن الفاسدين، نصف ساعة كانت كفيلة بتدفق هرمون الدوبامين (هرمون السعادة) داخل أوعية المدمنين الدموية، ثم بدأ الهرج داخل الزنزانة، كلهم في خوضهم يلعبون أحسست نفسي لوهلة أني

في مستشفى مجانين أحدهم يرقص والآخر يغني وواحد يضحك ثم تراه يختلق شجاراً، عند رؤيتي هذا العرض تيقنت أن المخدر المستهلك كان الأكستاسي (مخدرات منشطة) فقد كانت عندي خبرة بسيطة في أنواع الأدوية بما أنني درست عامين طب صيدلي... لم يكن هذا المخدر الوحيد الذي يتم استهالكه فبعد تكرار هذا المشهد أمامي كل أسبوع وبعد التمعن جيداً في حالة السجناء بعد تدفق هذه السموم داخل عروقهم، اكتشفت أن جميع أنواع المخدرات سواء المهدئة أو المنشطة تدخل إلى السجن، تجمعت في عقلي العديد من التساؤلات لماذا يعاقب العديد من المدمنين على استهلاكهم المخدرات ويتم الزج بهم في السجون، وداخل السجن يسمح لهم باستهلاكها بدون رقابة؟؟ بل إن معظمهم لم يكن مدمنا خارج السجن وبمجرد دخوله وأمام كل هذه الأنواع من السموم وظناً منه أنه سوف يتغلب على عذاب سلب الحرية فيقع فريسة سهلة لهذه الآفة السيئة، هل

تسمح إدارة السجن باستهلاك هذه السموم خوفاً من التشنجات التي ستحدث وبهذا يصبح عنيفاً على جسده وعلى باقي السجناء، أليس من الأحرى أن يتم إنشاء مصحة علاج الإدمان داخل السجن؟؟

بعد انقضاء شهرين وأنا أمام الدوامة الأسبوعية، طلبت من إدارة السجن أن تعيدني إلى زنزانتي الانفرادية فقلبي أصبح منفطراً على هؤلاء السجناء وخاصة بعد هلاك صاحبي الذي كان يتقاسم معي السرير، مات جراء جرعة زائدة من "المرهوجة" .... فنيَ قبل يوم من موعد الإفراج عنه، بعدما وعدني أنه سيذهب للتداوي بمجرد خروجه من جدران السجن البائس، عاد إلى أمه في تابوت وفي فمه بعض من قطرات حساء "المرهوجة".....

تنويه:
ما كتبته ليس قدحاً في المؤسسة السجنية ولكن نقداً لسوء الأنظمة التي راح ضحيتها العديد من الشباب في مقتبل العمر...

****